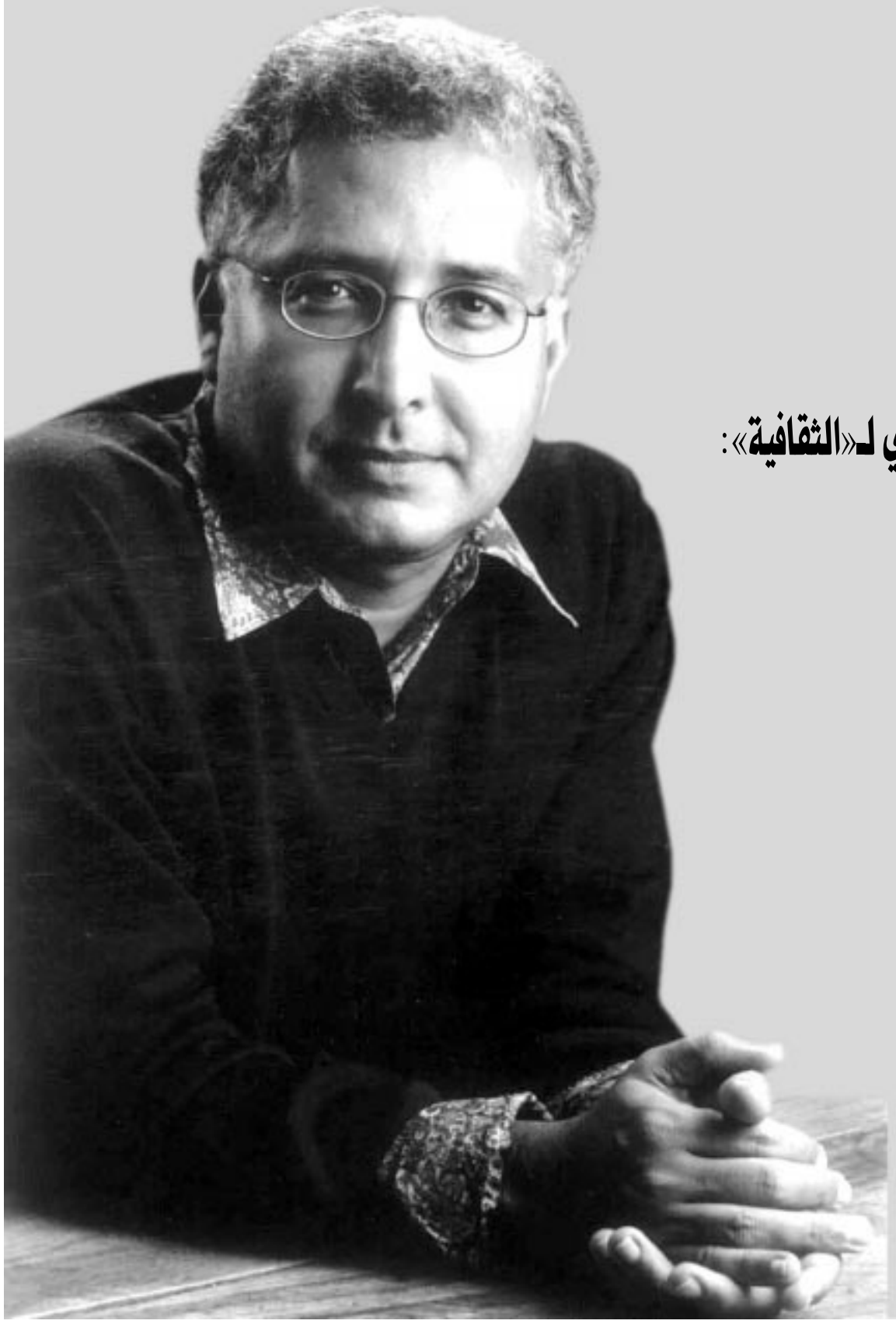

في مطار باريس لم يوقفه الضابط بتهمة سرقة «عدن»

القاص وعالم الحاسوب بروفيسور حبيب سروري لـ«الثقافية»:

في الغرب يتعلم الإنسان كيف يفكر.. هنا يتعلم كيف لايفكر!!

دلتا حبيب

بين لغتين وثقافتين ومدينتين تتلاقح الرؤى والأفكار وتتداخل الألوان..تتلاقى الخطوط وتفترق وتتقاطع لتشكل عوالم رقمية نابضة بسحر الشرق..يدلق حبيب سروري «جراره» المعبأة بمحلول الزمن على المكان فيعيد إليه ماضيه فتخرج الذكريات المحشورة من أجداثها سراعاً لتأخذ مكانها في المكان فيما يشبه اليوم..عندما حزم حبيب عبدالرب سروري حقيبة سفره صوب «باريس» كان قد عبأها بالتوابل والوجوه والمقاهي والأمكنة العدنية..

استوقفه / صلاح الدين الدكاك

لكن ضابط المطار الفرنسي أكد أنها لم تكن تحوي أكثر من ملابس ودفتر قديم وشفرات حلاقة لذا لم يوقفه بتهمة سرقة مدينة شرقية برمتها اسمها عدن،وحين حصل حبيب على درجة البروفيسور مع دخول عقد التسعينيات قرّر أن الوقت قد آن ليعيد إلينا «عدن» وربما فصولاً من هذه المدينة البحرية الساحرة والغافية على مخدة من الرمال الساخنة..يفرك حبيب عينيه المتعبتين في وقت متأخر من الليل ويغادر مقعده أمام شاشة الكمبيوتر ليلقي رأسه على مخدة ذكريات ويستيقظ ليفاجئنا برواية أو مجموعة قصصية أو إكليل قصائد أنيقة كصباح باريس وعابثة كأمسية على ساحل أبين..إننا أمام «دلتا» من المفارقات المذهلة التي يؤكد حبيب أنها تصب في محيط واحد..

قصائد للقمر

***وأنا أعد لمقابلتك احترت..أخاطب حبيب الفرنسي عالم الحاسوب؟أم حبيب العدني الذي يحفظ أسماء الحواري والأزقة والمأكولات الشعبية ولاتزال لهجة أهل البلد ساخنة على شفاهه..أيهما تحب أن أخاطب..أيهما أقرب إليك؟!**

- لاأظن أن ثمة ازدواجية تناقضية بين الاهتمام بالعلم والوفاء للشارع..لعلها ازدواجية تكاملية إذا صممت رؤية ازدواجية في وجهي تلك العلاقة.

***توجهك إلى كتابة الرواية والقصة والقصيدة..هل يمكن اعتباره هروباً من لغة الأرقام إلى لغة العواطف..من حياة غريبة معقدة إلى حياة شرقية بسيطة..من حضارة علمية إلى حضارة غنائية؟!!**

- لاأدري إذا كان من الأفضل رؤية التوجه للأدب في ظل وظيفة علمية «أو العكس» هو نوع من الهروب أو نوع آخر من الازدواجية التكاملية.في كل الأحوال هو نعمة ونقمة في نفس الآن.نعمة عندما يكون ذلك الهروب فسحة من الانهماك في عمل علمي تسمح للعودة إليه ـ بعد تلك الفسحة ـ بنفس أكثر انتعاشاً، ونقمة عندما تشعر بالتمزق لأن هناك عملين «علمي وأدبي» تريد إكمالهما في نفس الوقت،تمزّق مرير أحياناً إذا ابتلى المرءُ «بقلبين في جوفه».

عبَّرت عن هذه المعانة في قصة «ابجد ٦٩» في المجموعة القصصية «همسات حرّى من مملكة الموتى» تلك القصة التي كتبتها في لحظة معاناة تشبه ذلك التمزق فقد كنت حينها منشغلاً في عملين علمي وأدبي تقاسمتني رغبة في إكمالهما في نفس الآن.

لاأتفق معك في أن الحياة الأدبية حياة بسيطة..شخصياً «أرشَحُ» في كل صفحة أدبية أكتبها..وأحب كثيراً لحظات «التمليس» على العمل الأدبي في صيغته النهائية ،إنه تمليس بطيء يستغرق وقتاً وتركيزاً لايقلّ احتلالاً للدماغ من الاستغراق في عمل بحث علمي معقد أحياناً.

***لماذا برأيك كنا ـ كعرب ـ أكثر من كتب قصائد للقمر وكان الغرب أول من نزل على سطحه ..كيف تصبح رومانسية العربي وشطحاته عائقاً أمام مواكبة العصر؟!!**

- رمز العلاقة بالقمر في سؤالك يحمل مدلولاً قوياً لمدح جمال القمر «هذا إذا كان القمر جميلاً فعلاً» ليست هناك حاجة إلى التفكير،لكن السفر اليه يلزم امتلاك عقل قادر على التفكير والانتاج ،في الغرب يتعلم الإنسان كيف يفكر وفي الوطن العربي يتعلم كيف لايفكر،هذه هي المشكلة الجوهرية،لاأظن أن هناك خطأ أو عيباً في رومانسية العربي لأنها ليست سبب المشكلة.بالعكس هي حسّ ثقافي جميل يملأ الحياة دفئاً وحميمية،المشكلة الكبرى هي في سيادة اللاعقل.

ماوراء المعارف!!

***هل لذلك علاقة بشكل ومضمون التعليم..؟!**

- مهمة التعليم الأولى هي أن تتعلم كيف تفكر،كيف تُكوّن نظرتك الحرّة للوجود والحياة.للوصول إلى ذلك يتعلم المرء منذ الطفولة كيف يمارس البرهان العلمي ،مبدأ السببية الفصل بين الحقيقة والأسطورة..يتعلم كيف يرفض وينتقد المعارف،أقصد أن يتعلم عقلية الـ«لا» لاعقلية الـ«نعم»..لقول نعم لايحتاج المرء لأي مجهود فكري،لقول «لا» يلزمه أن يبرر ذلك،وأن يقدم «نَعَماً» بديلاً أو مشروعاً آخر.

هدف عقلية الـ«لا» هو أن يتعلم الطالب منذ الطفولة كيف يمتلك في عقله «ورقة ترشيح» تمنع تسرُب كل ماهو لاعقلاني لأن تسربه سهل جداً،فهو يكتسح العقل ويتحول إلى أفيون..هناك حاجة فيزيولوجية لتنمية مقدرة النقد والرفض منذ الطفولة،مثل الحاجة الفيزيولوجية لتعلم اللغة في السنوات الأولى من الحياة،إذا عاش الطفل سنوات حياته الأولى معزولاً عن البشر لايخاطب أحداً ولايعرف لغة حديث،فإنه يفقد كل مقدرة على التفكير نهائياً حتى آخر سنوات عمره.

ليتعلم التفكير يجب أن يتعلم ـ الطالب ـ أيضاً «ماوراء المعارف» أي المعارف التي تمس المعارف..التي تصنعها،تحللها،تجرّدها كل ذلك غائب عن التعليم العربي تعليم تلقيني،قديم،لاعقلاني .لذلك كان التعليم السائد هو أحد الأسباب الجوهرية في تخلف العرب.

***حتى يتموضع العربي في المجتمع الغربي بماديته عليه أن يتخلص من ماضيه الشرقي بأحاسيسه المفرطة وعقده هكذا يرى البعض ماتعليقكم؟**

- على العكس..ينبغي أن يمارس ذاته إلى أقصى حدودها.ماضيه الشرقي لايخلو من صفحات زاهرة كثيرة،وأحاسيسه المفرطة خصوصية جميلة،لاأظن أن هذه الخصوصية هي السبب في انطفاء العقل العربي وابتعاده عن ركب الحضارة.

ترجمان الملكة

*** في العام ٧٠م كانت بداية اشتغالك بالأدب والشعر وفي العام ٩٢م حصلت على درجة البروفيسور ثم عدت لتكمل مشوارك الأدبي كيف تصف لنا هاتين النقلتين في حياتك؟**

- أتذكر هذين العامين بشكل خاص..في العام ٧٠م نشرت أول قصائدي في مجلة «الحكمة» وكنت حينها مسروراً جداً جمّدت علاقتي بالكتابة الدائمة وبالنشر منذ منتصف السبعينات حتى عام٩٢م للتفرٌغ الكامل للدراسة العلمية وإن ظللت أكتب بين الفينة والفينة أنصاف قصائد.لكني مارست خلال تلك السنين القراءة الأدبية بانتظام،وإن كانت كلها تقريباً حتى عام٩٢م بالفرنسية.

***عندما قررت استعادة حبيب الكاتب والقاص في أعماقك كتبت روايتك الأولى «الملكة المغدورة» وآثرت كتابتها بالفرنسية هل يعني ذلك أنك لم تكن تنوي طرحها للقارئ العربي وإلى أي حد الملكة الفرنسية تشبه الملكة العربية التي قام د/علي محمد زيد بترجمتها؟**

- لم تكن «الملكة المغدورة» موجهة اطلاقاً للقارئ الفرنسي فحسب ـ سبب كتابتها بالفرنسية حينها هو أنها كانت آنذاك اللغة الوحيدة التي استطيع كتابة رواية فيها،لأنها كانت وحدها تقريباً لغة قراءتي الأدبية خلال تلك السنوات ـ معظم الكلمات الأدبية العربية كانت حينها في سبات عميق،تغيرت الأشياء منذ منتصف التسعينيات لمعاودتي القراءة الأدبية بالعربية إلى جانب الفرنسية،وحاولت منذ تلك الفترة أن أدع كلتا اللغتين تتفاعلان في كتابتي،استيقظت الكثير من الكلمات العربية النائمة بعد ذلك،وتمكنت من كتابة المجموعة القصصية«همسات حرّى في مملكة الموتى» في ٩٨م بالعربية مباشرة،وكذلك ديوان «شيء مايشبه الحب».

حول ترجمة الصديق العزيز/علي محمد زيد للملكة المغدورة فكانت دقيقة مع النص الفرنسي ورائعة روعة علي محمد زيد نفسه والذي أكن لمقدراته الفكرية واللغوية وألمعيته المتميزة كل الاعجاب.

بين طور الباحة وباريس

***هناك نية رسمية لإنشاء حكومة الكترونية..ألا ترى أن ذلك يعرض شئوننا الداخلية للفرجة والاختراق.ويبدي البعض تخوفاً من أن تحل الأرشفة الالكترونية كبديل للأرشفة**